سلسلة تفريغات شبكة بينونة

خطر الفتوى بغير علم

الشيخ د. محمد بن غالب العمري

من هنا باقي التفريغات

قام به فريق التفريغ في شبكة بينونة للعلوم الشرعية

@BaynoonanetUAE @Baynoonanet www.baynoona.net

بسم الله الرحمن الرحيم

يسرّ شبكة بينونة للعلوم الشرعية أن تقدم لكم تفريغا

لمحاضرة بعنوان

خطر الفتوى بغير علم

للشيخ:

د. محمد غالب العمري

حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَىٰ

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمدًا يوافي نعمه، الحمد لله على آلائه الكثيرة، ونعمائه الوفيرة، الحمد لله حتى يرضى، الحمد لله بعد الرضى، الحمد لله على كل حال، ونعوذ بالله ﷻ من حال أهل النار.

وأُصلي وأُسلم على نبينا محمد وعلى آل وصحبه، ومن تمسك بسنته، واقتفى هديه إلى يوم الدين.

أما بعد...

✡**موضوعنا بإذن الله –جلَّ وعلا– في هذا اللقاء كما هو معلوم عن: خطر الفتوى بغير علم.**

وهذا الموضوع له أسباب كثيرة، وقبل أن نتكلم عن خطورة الفتوى وشيئًا من هدي السلف، أو أن نذكر شيئًا من هدي السلف في خطورة هذا الأمر، وكذلك بعض الآثار المترتبة على الفتوى بغير علم يحسُن أولًا: ذكر الأسباب الداعية إلى التحدث عن هذا الموضوع.

لا شك أن الفتوى أمرها جليل، وهي منزلة عظيمة، ولكن مما يدعو إلى الكلام عن خطورتها:

أولًا: ما نشاهده من تصدر بعض الناشئة الذين لا صلة لهم بالعلم، أو لهم صلة لا تؤهلهم إلى الكلام عن دين الله –جلَّ وعلا– وعن شرعه إلى الفتوى ومقام الفتوى، إلى الكلام عن مسائل الدين أو القيام بتبليغ الشريعة، أو التصدر لأسئلة المستفتيين سواء في مسائل التواصل أو عبر الهواتف والجوالات أو غير ذلك، فهذا الأمر خطير جدٌّ خطير.

❍ **كذلك من الأسباب:** ما نراه من هذا العالم المعلوماتي المفتوح الذي يخوض فيها الناس جميعًا ما بين مستفيد وبين مفيدٍ، وما بين متأهل وغير متأهل؛ مما جعل الشبكة المعلوماتية هي مصدر للأسف موثوق عند الكثير من أهل الإسلام في أخذ الفتاوى.

وهذا مسلكٌ خاطئ في استجلاب المعلومة أو الفتوى في المسائل التي تعرض للإنسان في حياته سواء في عبادته أو في معاملاته.

فإن الشبكة ومحركات البحث ليست بالمصادر الموثوقة على كل حال في هذا الأمر حتى وإن كانت من مواقع العلماء المعتبرين، فلا يحق للإنسان ولا يصح منه أن يستجلب فتوى يقيس حاله على حال السائل لهذا الفتوى لاختلافات كثيرة معلومة لدى أهل العلم.

قد لا تتطابق الفتوى مع حاله، فكيون بذلك قد أخذ فتوى لا تصح بالواقع الذي هو يعيشه.

فهذا العلم المعلوماتي المفتوح له آثار سلبية كثيرة، والناس يسألون هذه المحركات ويأخذون بهذه الفتاوى دون ضبط للمسألة أو التفريق بين صحة هذه الفتوى أو عدم صحتها، أو فهم هذه الفتوى فهمًا صحيحًا أو عدم فهمها، وهذا لا شك يوقع في إشكالات كثيرة.

نعم هناك فتاوى قد تكون واضحة، ومن أهل العلم المعتبرين الذين لهم مراجع للفتوى ولكنها في الفتاوى العامة أو الفتاوى الواضحة الظاهرة فميا يتعلق بحكم ركن من الأركان، أو شرط من الشروط؛ في صلاة، أو في زكاة، أو في صيام أو نحو ذلك، لمعرفة الراجح من كلام العالم.

وأما الفتاوى المتعلقة بحياة الناس، أو ما تعرض لهم من مشاكل أو من معاملات خاصة لها توصيف خاص؛ فلا بد من فتوى خاصة في حال هذا السائل ليكون السداد في الإجابة على مبتغاه من الفتوى.

❍ **كذلك من الأسباب الداعية إلى الكلام عن هذا الأمر**: هو خطورة الفتوى بغير علم، والكلام في دين الله –جلّ وعلا– بغير فهم، والتصدر لهذا الأمر العظيم.

وسيأتي معنا من الآيات، ومن الأحاديث، ومن أقوال السلف ما يدل على خطورة الكلام في دين الله –جل وعلا–.

❍ **كذلك من الأسباب**: عدم التمييز بين العلماء والجهلاء، عدم التمييز بين أهل العلم وبين أهل الجهل، فتصدَّر كثير من الجهال أو ممن ظنّ نفسه قد بلغ إلى مرتبة الفتوى وتصدَّر الكلام في دين الله –جلَّ وعلا–، والإجابة على أسئلة السائلين دون تأهل في ذلك، أو إرشاد من أهل العلم المعتبرين، أو سيرته الصحيحة التي تدل على أهليته، وعدم مخالفته لسبيل أهل العلم.

عدم التمييز هذا:

- **أدى إلى أخذ العلم من أنصاف العلماء.**
- **أدى إلى الركون إلى فتاوى مخالفة.**
- أدى إلى تصدق الكثير من الجهال ممن لم يشم رائحة العلم فضلًا عن أن يكون من أهله.

وتكلموا في نوازل عظيمة، تكلموا في فتاوى هذه الأمة، تكلموا في الثوابت، لم يُميزوا بين البدهيات وبين الثوابت والمتغيرات، فضلوا وأضلوا، هذا كله من آثار عدم ضبط هذا الباب.

❍**كذلك مما يدل على أهمية الكلام في هذا الموضوع:** هو عدم حصول أدب الفتوى التي نص عليها أهل العلم، وما ينبغي أن يتحلى به المفتي مما يتعلق بجانبه العلمي أو بجانبه السلوكي أو غير ذلك مما مراجعه في هذا كتب الفتوى والاجتهاد.

هذه بعض الأسباب لبيان خطورة هذا الأمر.

❍**مما يدل على خطورة الفتوى بغير علم:** أن في هذا الأمر جراءة على الكذب، والافتراء على الله –جلّ وعلا–؛ لأن الذي يقول: هذا الشيء حلال، هذا الشيء حرام؛ ولا يعرف، فكأنما يقول: إنا الله أحلّه، أو إن الله حرَّمه؛ لأن المقصود بكلمة حرام وحلال يعني في دين الله وفي شرع الله.

ولذلك قال الله –جلَّ وعلا– محذرًا من هذا الأمر: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأَعْرَاف الآية ٣٣].

الذي يقول على الله ما لا يعلم هو المفتي الذي يُفتي بغير علم، وفرق بين المفتي الذي يفتي بعلم فيخطئ فهو مأجور على اجتهاده، وبين من يُفتي بغير علم، حتى وإن أصاب.

إذا أفتى الجاهل بغير علم؛ لأنه جاهل وبطبيعة الحال سيفتي بغير علم. إذا أفتى في مسألته وأصاب فيها الحق؛ فإنه مأزور غير مأجور ؛ لأنه ليس من أهل العلم الذين يُرجع إليه، ولا هو من أهل العلم الذين يجوز لهم الفتوى.

والله –جل وعلا قال: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [النَّحل الآية ٤٣] وهو ليس من أهل الذكر، هو من أهل الجهل.

ولذلك قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَقَدْ حَرَّمَ اللهُ ﷻ الْقَوْلَ عَلَيْهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ فِي الْفُتْيَا وَالْقَضَاءِ، وَجَعَلَهُ مِنْ أَعْظَمِ الْمُحَرَّمَاتِ" كما في الآية السابقة.

ومما يدل أيضًا على خطورة الفتوى بغير علم:

قول الله –جلَّ وعلا–: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ١١٦﴾ [النَّحل الآية ١١٦].

الله –جلَّ وعلا– كذلك قال: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦﴾ [الإسْرَاء الآية ٣٦].

فينبغي للإنسان أن يتحرز في الكلام في دين الله، في شرع الله، في أبواب الحلال والحرام، والمستحب، والمكروه، والمباح، في مسائل الأحكام التكليفية وفي غيرها، لا بد أن يكون بعلم.

وإذا كان لا يجوز للإنسان أن يتكلم في الأمور الدنيوية بما فيه مصالح الناس بغير علم فمن باب أولى شرع الله –جل وعلا– ودينه.

فلا يجوز لعالم الشريعة مثلًا أن يتكلم في مسائل الطب الدقيقة، ولا أن يتكلم في مسائل الهندسة الدقيقة أو غير ذلك من الأمور التي لا تكون إلا من متخصص، فكذلك لا يجوز لا لطبيب ولا لمهندس ولا لغير ذلك فضلًا عن غيرهم من عوام الناس أن يتكلموا في شرع الله –جلَّ وعلا– وفي دينه.

لأن هذا الأمر لا بد فيه من دراسة، والعلم الشرعي ليس ميدانًا مباحًا لكل أحد يتحدث فيه بما شاء؛ يفتي وهو متكئ على أريكته، ويشرب فنجان قهوة، ويتكلم على شرع الله –جل وعلا– أو في دين الله ﷻ بغير علم؛ هذا لا يجوز.

بل يجب أن يعلم أن الفتوى بغير علم أمرها خطير، وهو تقول على الله –جلَّ وعلا–، وسلوكٌ لسبيل خطير ومخيف وعاقبته عاقبة أليمة، ولذلك نبينا ﷺ قال كما في الصحيح من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال: «أَنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، فَإِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمٌ اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤَسَاءَ جُهَّالًا؛ فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»(١).

هذا سبيل ضلال الافتاء بغير علم، قال: «فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ»، **ما عاقبته؟** قال: «فَضَلُّوا». هم في أنفسهم على ضلال، «وَأَضَلُّوا» وأضلوا غيرهم، هم ينهون عن الحق ويأون عنه، هم بعيدون عن سبيل الحق، ويُبعدون غيرهم عن سبيل الحق، هو آثم ويتحمل كذلك آثام من تبعه لعظم الأمر الذي اقترفه وهو الكلام في دين الله –جلَّ وعلا–.

كل من يعلم عِظم شريعة الإسلام، وأنه شرع منزل من حكيم حميد ﷻ، ودقة هذه الأحكام؛ لأن الذي أنزلها رب حيكم ﷻ لطيف خبير، **لا بد أن:**

يحترم هذه الشريعة وأن يعرف موقعه منها.

وأن لا يتكلم في دين الله –جلَّ وعلا– بغير علم ولا هدى.

وأن يعلم أن لهذه الشريعة سياجٌ متين، فالكلام فيها ليس حلالًا لكل أحد، ولا مشروعًا لكل متحدث.

بل لابد في ذلك من علم ومن جهدٍ ومن تحصيل الأفهام الصحيحة حتى يصل الإنسان إلى مرتبة يعرف فيها أحكام الشريعة، يعرف فيها دلالات الآيات، والأحاديث والمنهج الصحيح في فهم القرآن، وفي فهم السنة، حتى يتكلم بعلم صحيح، ويقف على خطى ثابتة في الكلام عن دين الله –جلَّ وعلا– وعن شرعه، وإلا كان ممن سلك الدرب

---

(١) أخرجه البخاري (١٠٠)

من غير طريقه الصحيح، واقتحم ما لا يجوز له اقتحامه من الكلام عن الشريعة وعن أبواب الحلال والحرام.

المفتي بغير علم ضلَّ عن الحق كان سببًا في إضلال غيره، فالكلام في شرع الله –جلَّ وعلا– بغير علم كبيرة من الكبائر، وهو أمر محرم لا شك فيه، وهذا الذي صدّر نفسه للكلام في أمر الأحكام، سواء كان هذا الحكم صغيرًا في نظره أو كبيرًا لا بد أن يسلك مسلك التوبة إلى الله –جل وعلا–، والاستغفار، والإنابة، والرجوع.

وأن يُبين للناس أنه ليس أهلًا أن يتكلم في دين الله وشرعه، فإن الكلام عن الشرع لا بد فيه من آلة اجتهاد، ومن النظر الصحيح من المعرفة الثابتة، لا يكون الكلام على سبيل الشك، ولا على سبيل الظن، ولا على سبيل الجهل، بل يكون على سبيل العلم الصحيح، ومراتبه الصحيحة.

ولذلك عظَّم الله –جلَّ وعلا– مكانة العلماء، وبيّن منزلتهم الذين بذلوا جهدًا في معرفة العلم، وفي فهم الشريعة، قال –جلَّ وعلا–: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ﴾ [المُجَادلَة الآية ١١].

هذه رفعة من الله –جلَّ وعلا– تكون لمن سلك هذا السبيل واقتفى هذا الطريق، واستشهدهم الله –جل وعلا– على أعظم مشهود، قال: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨﴾ [آل عِمۡرَان الآية ١٨].

أشهد الله ﷻ أهل العلم، استشهدهم على أعظم مشهود؛ وهو لا إله إلا الله كلمة التوحيد لمنزلتهم ومكانتهم قال –جلَّ وعلا–: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩﴾ [الزُّمَر الآية ٩] .

فمن أكبر الجنايات العظيمة التي يقع فيها بعض الناس القول على الله –جلَّ وعلا– بغير علم ولا بينه ولا برهان؛ فمن كان متأهلًا لهذا الباب فليستعن بالله –جلَّ وعلا– في الكلام فيه عن معرفة.

ومن لم يكن متأهلًا لهذا الباب فإنه يحرم عليه أن يتكلم في دين الله أو في شرعه بغير علم؛ لأنه يكون في هذه الحالة قائلًا على الله –جلّ وعلا– بغير علم، ومتحدثًا بالجهل.

ولا بد حتى من المتأهلين من أهل العلم أن يحرصوا على أن تكون هذه الفتوى فيها دفع للمفاسد وجلب للمصالح، وهذا باب واسع لابد أن يعرفه كل من تكلّم في دين الله –جلَّ وعلا–.

ولذلك من نظر إلى هدي السلف –رحمهم الله ورضي عنهم– يجدهم من أشد الناس تحرزًا من هذا الباب، ومن أكثر الناس سلوكًا للورع، وتنفيرًا من الكلام في شرع الله –جلَّ وعلا– وفي دينه بغير علمٍ وبصيرة.

✍**يقول ابن مسعود ﷺ فيما رواه ابن عبد البر وغيره من أهل العلم، قال:** "من أفتى الناس في كل ما يستفتونه فهو مجنون".

✍**وجاء مثل هذا عن ابن عباس، وجاء في مسند إسحاق بن راهوية عن ابن عباس – رضي الله عنهما– أنه قال:** "من أفتى فتيا يعمى عنها فإنما إثمها عليه" كان جاهلًا ويأثم على ذلك.

✍**يقول عبد الرحمن بن أبي ليلى وهو من التابعين قال:** "أدركت عشرين ومائة من الأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ يُسئل أحدهم المسألة فيرد هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا حتى ترجع إلى الأول منهم، ما منهم من أحد إلا ودّ أن أخاه كفاه الفتيا".

وجاء عن بعض التابعين أنه قال: "إن أحدكم ليُفتي في المسألة لو وردت على عمر ابن الخطاب ﷺ لجمع لها أهل بدر".

اسمعوا معاشر الأحبة؛ هذا يتحدث في الأزمنة السابقة، أزمنة الورع والفتوى كيف بأزمنتنا هذه؟ وهو يقول لأولئك: "إن أحدكم ليُفتي في المسألة لو وردت على عمر لجمع لها أهل بدر".

الآن الواحد يتكلم عن الحلال والحرام وهو لا معرفة له بالواجبات التي تجب عليه في دين الله –جل وعلا– فضلًا على أن يفتي غيره، أو أن يُعلم غيره.

يقول الإمام مالك إمام دار الهجرة رَحِمَهُ ٱللَّهُ رحمة واسعة، قال: "سمعت محمد بن عجلان وهو من الأئمة الثقات، قال: يقول: إذا أخطأ العالم لا أدري أصيبت مقاتله".

تأملوا في هذا الأثر؛ إذا أخطأ العالم لا أدري أصيبت مقاتله، إذا كان العالم المؤهل المجتهد لا يعتني بهذه الكلمة وهي(لا أدري) فيما يجهل، قال: أُصيبت مقاتله؛ فكيف إذا تكلَّم الجاهل؟! كيف إذا تصدر لدين الله –جلَّ وعلا– من لا يعلم؟! كم من المفاسد ستجر هذه الفتاوى غير المنضبطة؟

فالواجب على من لا يعلم أن يقول: لا أعلم، أو الله أعلم، أو لا أدري.

لذلك قال ابن مسعود ﷺ: "يا أيها الناس من سئل عن علم يعلمه فليقل به، ومن لم يكن عنده علم فليقل: الله أعلم، فإن من العلم أن تقول لما لا تعلم: الله أعلم، إن الله قال لنبيه: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [ص الآية ٨٦]".

ولذلك تكاثر مرة الناس على القاسم بن محمد بمنى، فجعلوا يسألونه وهو يقول: لا أدري، ثم قال: "إنا والله لا نعلم كل ما تسألون عنه، ولو علمنا ما كتمناكم ولا حلَّ لنا

أن نكتمكم" هذه إشارة إلى قوله –عليه الصلاة والسلام–: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ علمه ثم كَتَمَهُ أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ»[1].

قال: ليس من هدي العلماء أنهم يجيبون عن كل سؤال، **ولذلك لما سئل التابعي الجليل سعيد بن جبير رحمه الله عن مسألة، فقال:** "لا أعلم" ثم قال: "ويل للذي يقول لما لا يعلم: إني عالم".

وجاء عن علي ﷺ أنه خرج على أصحابه مرة وهو يقول: "ما أبردها على الكبد"، قيل: وما ذاك؟ قال: "أن تقول للشيء لا تعلمه: الله أعلم".

هذا هدي السلف، عدم الخوض فيما لا يعلمون، وعدم التصدر للفتيا، بل يتدافعون الفتيا؛ لأنه كلام في دين الله –جلَّ وعلا–، كلام في شرعه.

فيحرص المسلم غاية الحرص على أن لا يخوض في هذا الأمر بغير علم، بل يجتهد أن يجتنب أمر الفتوى ما استطاع إليه سبيلًا، ما لم يتعيّن عليه أو يكون متأهلًا لذلك ويرى المصلحة في الكلام في شرع الله –جلَّ وعلا– في هذه المسألة الفلانية، أو يرى فيها من دفع المفاسد، أو نحو ذلك من الحالات.

ولا يتحرج أن يقول: لا أدري، أو والله أعلم، البعض ربما يخشى أن يقال عنه: جاهل، أو يقال: كيف أنت درست أنت كذا وكذا وأنت تقول: لا أدري، من هم خير منا من الأئمة كانوا يقولون: لا أدري.

يقول عبد الرحمن بن مهدي رَحِمَهُ اللَّهُ قال: "كنا عند الإمام مالك؛ –عندما كنا عند مالك بن أنس–، قال: فجاءه رجل فقال: يا أبا عبد الله جئتك من مسيرة ستة أشهر، حملني أو حمَّلني أهل بلدي مسألة أسألك عنها، قال: فسأل" –فسأل الرجل عن

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٤٩)

المسألة-، فقال: "لا أُحسنها" بُهت الرجل؛ لأنه قد جاء إلى من يعلم كل شيء الإمام مالك، قال: "فقال: فأي شيء أقوله لأهل بلدي إذا رجعت إليهم" قال: "تقول لهم: قال مالك: لا أُحسن".

يقول عبد الرحمن بن وهب: من تلاميذ مالك، قال: "كنت أسمعه كثيرًا يقول: لا أدري، قال: ولو كتبنا عن مالك: لا أدري لملأنا الألواح"؛ يعني من كثرة ما يقول لا أدري.

ولذلك نجد في كتب الفقه بعض الأقوال يتوقف فيها العلماء؛ فتجد أقوالًا كثيرة، بل أُخذت رسائل جماعية جُمعت فيها أقوال العلماء التي توقفوا فيها، ما معنى توقفوا فيها؟ لم يفتَ فيها لا بالحل ولا بالحرمة ولا بغير ذلك توقفوا.

ربما تحتاج المسألة إلى مزيد بحث، ربما استشكل الأمر لم يتبين له صواب، هذا مسلك العلماء.

ولذلك الصحابة –رضي الله عنهم وأرضاهم- كانوا على هذا الأمر.

يقول عقبة بن مسلم: "صحبت ابن عمر أربعة وثلاثين شهرًا، فكثيرًا ما يسأل فيقول: لا أدري، ثم يلتفت إلي فيقول: تدري ماذا يريد هؤلاء؟ يريدون أن يجعلوا ظهورنا جسرًا لهم إلى جهنم".

يأتيك يسألك ولا بد أن تُفتيه، وإن اعتذرت أو لم تُفته، جاءك من النقض أو من الطعن أو من السب أو من غير ذلك، ولا يتجرأ إنسان على الفتوى وهو لا يدري، ولا يجوز له أن يفتي وهو لا يدري.

ولذلك جاء عن سفيان بن عيينة رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: "أجسر الناس على الفتيا أقلهم علمًا"؛ أجسر الناس؛ أجرأ الناس على الفتيا أقلهم علمًا.

لماذا؟ لأن هذا الباب لا يدخل فيه كل أحد، باب عظيم، ولذلك إذا سمعت العالم يقول: (لا أعلم، لا أدري، الله أعلم) هذا يدل على علمه، ويدل على ورعه.

✍**ولذلك قال أبو داود:** "قول الرجل فيما لا يعلم لا أعلم نصف العلم".

منزلة عظيمة، هذا شيء من هدي السلف –رضي الله عنهم وأرضاهم– في باب الفتيا، ينبغي للإنسان أن يتقفى أثرهم وأن يسلك مسلكهم، وألا يتكلم في شرع الله –جلَّ وعلا– وفي دينه بغير علم وبصيرة.

✡ **لأن الكلام أو الفتوى بغير علم لها آثار عظيمة، وأذكر في هذا اللقاء بإذن الله –جلَّ وعلا– على وجه الاختصار عشرة من الآثار الخطيرة للفتوى بغير علم.**

➹ **أما الأثر الأول: فهو مخالفة الشرع.**

الفتوى بغير علم سبيل إلى مخالفة الشرع؛ يأتي المتصدر إلى أمر أحله الله –جلَّ وعلا– فيُحرمه، أو حرمه الله –جل وعلا– فيُحله، خالف لشرع الله.

فجعل منزلته في مقام المشرِّع، ولذلك ألف ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ كتابًا يُحذر فيه الذين يفتون بغير علم، أو يتكلمون بغير هدي سمَّاه [إعلام الموقعين عن رب العالمين].

➹ **كذلك من آثار الفتوى بغير علم: تصدر الجهال، وإهمال مكانة أهل العلم.**

كثير من الناس للأسف الشديد يغتر، كل من ظهر في وسيلة إعلامية، أو في قناة فضائية جعله من أهل العلم، واستفتاه، واتصل به، وأخذ الفتوى عنه دون تحرز أو حذر من أن يكون هذا المتحدث ليس من أهل العلم أصلًا أو غير متأهل لهذا المقام الذي قام فيه.

لكن للأسف الشديد أن كثيرًا من الناس يجعل هذه الوسائل محل ثقة، ويتصل على كل من وضع رقمًا أو تصدر لفتيا، ولا يُميز في ذلك بين أهل العلم المعتبرين، وبين أهل

الجهل المتصدرين، لا بد من التمييز حتى لا تظلم نفسك ولا تظلم غيرك، ولا تساعد هذا المتصدر في ظلم غيره.

لأنه لولا ما يستجلبه هذا المتصدر من اتصالات ومن أسئلة ومن استضافات لما تصدر لهذا المكان، ولا ما وقف هذا الموقف الخطير وتصدر لهذه الأمانة العظيمة.

➢ **المفسدة الثالثة أو الأثر الثالث من أثار الفتيا بغير علم: هو مخالفة سبيل الصحابة وأئمة الدين.**

الله –جلَّ وعلا– قال في كتابه الكريم: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النِّسَاء الآية ١١٥].

وسبيل المؤمنين الذين كان عليه الصحابة –رضي الله عنهم وأرضاهم– ومن بعدهم من التابعين، وأئمة العلم والهدى؛ أنهم كانوا يجتنبون الفتوى قدر الاستطاعة، ويتورعون عن الكلام في دين الله –جل وعلا–، ويودون لو أن غيرهم كفاهم هذه المؤونة.

فمن تصدّر لهذا الباب وسعى إليه، وهو يعلم من حاله جهله بأمور الشريعة، وبمهمات العلم؛ فلا شك أنه ممن خالف سبيل السلف وطريقة الأئمة.

➢ **كذلك من الأثار: ما يحصل بسبب الفتوى بغير علم من دفع المصالح وجلب المفاسد.**

شرع الله –جلَّ وعلا– قائمٌ على دفع المفاسد وجلب المصالح، ولكن من يتكلم بغير علم قد يؤدي هذا المسلك الذي سلكه إلى جلب المفاسد وإلى دفع المصالح.

كثير من المصالح التي تُستجلب في الشريعة دفعها بفتواه الظالمة، وكثير من المفاسد التي تُستدفع في الشريعة جلبها بفتواه الظالمة.

وهذا أمرٌ مشاهد للأسف الشديد، وسيأتي على هذا شيء من الأمثلة.

➢ **كذلك من الآثار والأثر السادس: تفريق الأمة.**

كثير من الفتاوى سبب للتفريق سواء بين الأفراد بشكل خاص في الأسرة الواحدة، أو بين المجتمع.

يأتي فلان يفتي رجل بطلاق زوجته دون نظر إلى ما قبل الطلاق من محاولة الإصلاح أو حل الإشكال، أو يأتي إلى امرأة ويطلب منها أن تطلب الطلاق من زوجها، ويقع في مفاسد وفي مخالفة للشريعة في ذلك.

أو يفتي في أمر يُفرق فيه بين الإخوة في المنزل الواحد، أو بين شريكين، أو بين صديقين، أو بين جارين، أو قد يأتي ويُفرق بين الناس وبين حكامهم، بين الناس وبين علمائهم بفتاوى جائرة بفتاوى ظالمة تشتت المجتمع، وتفكك أواصر الروابط الاجتماعية، والتألف الموجود، تكون هذه الفتوى مفرّقة ومؤدية إلى سلوك باطل، وإلى زرع العدوات والبغضاء بين الناس.

➢ **كذلك من آثار الفتوى بغير علم: نشوء الظواهر السلبية في المجتمع؛ كالتكفير، والتبديع، والتفسيق.**

هذه المسائل مسائل شرعية تتعلق بمسائل الأسماء والأحكام.

فعندما يأتي الشخص ويتكلم في هذه المسائل فيُكفر بغير علم، أو يُبدع بغير علم، أو يُفسق بغير علم؛ هذا له مفاسد عظيمة في المجتمع.

لأن هذه الأمور من التكفير أو التبديع أو نحو ذلك هذه ينبني عليها أحكام، من هذه الأحكام قد ينبني عليها مسائل في الهجر، ينبني عليها مسائل حتى في الصلاة على الميت من هؤلاء أو نحو ذلك.

فكثير من الأفكار وكثير من الظواهر السلبية التي تتعلق بأبواب الشريعة سببها الكلام في دين الله –جلَّ وعلا– بغير علم، أو الفتوى بغير علم.

كذلك من الآثار وهو الأثر الثامن: حصول الفتن العظيمة في المجتمع.

ومن ذلك الفتوى في أمور الحكم، وما يتعلق بالحكَّام؛ كالفتاوى التي تحث على الخروج، أو على المظاهرات، أو على الثورات؛ هذه الفتاوى التي تمتلئ بالمفاسد وبالأضرار، ويتصدر لها أناس ليس من أهل العلم؛ لأن أهل العلم إنما يدلون على الصلاح والإصلاح وعلى الخير للناس جمعًا.

وأما هؤلاء فيخدمون أجندة حزبية، أو لهم أهداف تتبع لطوائفهم ولأحزابهم؛ فهذه الفتاوى كم جرَّت على الأمة من مفاسد؟! كم حصل بهذه الفتاوى من سفك للدماء، وتقطّع للأشلاء؟ كم حصل من ترمل النساء ومن تيتم الأبناء؟ كم حصل من هدم للبلدان؟ وكم حصل من خروج الناس من بيوتهم، أو تهدم هذه البيوت على أصحابها؟

كم حصل من أضرار هذه الفتاوى من مفاسد عظيمة على الأفراد وعلى المجتمعات حينما تصدر لهذه المسائل المفتون من أهل الثورات؛ الذين أفتوا وفتنوا الناس بعبارات جوفاء، وشعارات كاذبة.

فأخرجوا الناس من بيوتهم إلى مصير مجهول، وأعلنوا الخروج على الحكام بغير مستند شرعي، ولا فقه، ولا فهم في دين الله –جل وعلا–.

خالفوا في ذلك النصوص، خالفوا سبيل العلماء، خالفوا سبيل السلف، استجلبوا كثير من المفاسد، ودفعوا المصالح.

فكانت أثار هذه الفتاوى الدمار، والفساد، وانتشار الفوضى، وأخلاقيات وسلوكيات لا يقبلها الإسلام، وليست هي من أخلاقيات أهل الإسلام.

➢ **كذلك من آثار الفتوى بغير علم: التضييق على الناس في باب الفتوى.**

يأتي شخص إلى أمرٍ مختلف فيه وهو من الأمور الاجتهادية، ويُلزم الناس بقول واحد دون اعتبار لقولٍ آخر هو معتبر عند أهل العلم ومعمول به، ويجعل المسائل الفقهية على نمط المسائل العقدية التي هي من مسائل أصول الاعتقاد لا يجوز الاختلاف فيها.

يجعل المسائل العقدية العظمى أو يجعل هذه المسائل الفقهية الفرعية كالمسائل الأصولية العقدية العظمى التي لا يجوز الاختلاف فيها بل وقع عليها الإجماع.

➢ **وفي المقابل أيضًا وهي المسألة أو الأثر الأخير للفتوى بغير علم: الترخص غير المنضبط.**

بعض الناس يسلك مسلك القول عن كل مسألة بأن الراجح في ذلك الحل، وهذا أيضًا مسلك خطير، فإنه كما في الشريعة ما أحل الله –جلَّ وعلا– وهو الأكثر فهناك أيضًا ما حرَّمه الله –جلَّ وعلا– وإن كان هو الأقل، لكن لا يجوز للإنسان أن يُكثر من أمر الترخيص فيما يظهر فيه المنع.

وأما ما جاءت الشريعة فيه بالرخصة فإنه سائغٌ، بل يأخذ الإنسان بالرخص.

ولكن ضابط ذلك أن يدل الدليل أو الإجماع على الرخصة في المسألة الفلانية، ليس مسألة الترخص بالأهواء ولا بالأذواق، ولا بالاستحسان.

فشرع الله –جلَّ وعلا– لا تدخله هذه الأمور؛ لا الشك، ولا الهوى، ولا استحسان العقول ولا غير ذلك، وإنما قول أهل الإيمان: سمعنا وأطعنا لكلام الله –جلَّ وعلا– ولكلام النبي ﷺ.

الكلام عن الفتوى بغير علم، وآثار هذه المسألة كلام طويل، ولعل فيما ذُكر الكفاية، وفي الإشارة إلى ما تطرقنا إليه ما يغني بإذن الله –جلَّ وعلا– عن كثير من العبارة.

فأسأل الله –جلَّ وعلا– أن يجعلنا ممن يستمعوا القول ويتبعوا أحسنه، وأن يسلك بنا الهدي القويم والصراط المستقيم، وأن يُجنبنا مزالق الألفاظ من الأقوال، وأن يُجنبنا مزالق الأفعال، وأسأل الله –جلَّ وعلا– لي ولكم التوفيق والسداد.

إنه الولي على ذلك، والقادر عليه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

حسابات شبكة بينونة للعلوم الشرعية

ليصلكم جديد شبكة بينونة، يسعدنا أن نتواصل على المواقع التالية:

① 【 تويتر Twitter 】
https://twitter.com/BaynoonaNet
② 【 تيليجرام Telegram 】
https://telegram.me/baynoonanet
③ 【 فيسبوك Facebook 】
https://m.facebook.com/baynoonanetuae/
④ 【 انستقرام Instagram 】
https://instagram.com/baynoonanet
⑤ 【 واتساب WhatsApp 】
احفظ الرقم التالي في هاتفك
☏ https://api.whatsapp.com/send?phone=٩٧١٥٥٥٤٠٩١٩١
أرسل كلمة "اشتراك"
تنبيه في حال عدم حفظ الرقم لديك
((لن تتمكن من استقبال الرسائل))
⑥ 【 تطبيق الإذاعة 】
لأجهزة الأيفون
https://appsto.re/sa/gpi٥eb.i
لأجهزة الأندرويد
https://goo.gl/nJrA٩j
⑦ 【 يوتيوب Youtube 】
https://www.youtube.com/c/BaynoonanetUAE
⑧ 【 تمبلر Tumblr 】
https://baynoonanet.tumblr.com/
⑨ 【 بلوجر Blogger 】
https://baynoonanet.blogspot.com/
⑩ 【 فليكر Flickr 】
https://www.flickr.com/photos/baynoonanet/
⑪ 【 لعبة كنوز العلم 】
لأجهزة الأيفون
https://goo.gl/Q٨M٧A٨

لأجهزة الأندرويد
https://goo.gl/vHJbem
【 Vk في كي 】
https://vk.com/baynoonanet
【 Linkedin لينكدان 】
https://www.linkedin.com/in/شبكة-بينونة-للعلوم-الشرعية-٦٦٩٣٩٢١٧١
【 Reddit ريديت 】
https://www.reddit.com/user/Baynoonanet
【 chaino تشينو 】
https://www.chaino.com/profile?id=٥ba٣٣e٠c٧٧٢b٢٣d٥bb٧daf٠a
【 Pinterest بنترست 】
https://www.pinterest.com/baynoonanet/
【 Snapcha سناب شات 】
https://www.snapchat.com/add/baynoonanet
【 تطبيق المكتبة 】
لأجهزة الأيفون
https://apple.co/٣٣uUnQr
لأجهزة الأندرويد
https://goo.gl/WNbvqL
【 تطبيق الموقع 】
لأجهزة الأيفون
https://apple.co/٢Zvk٨OS
لأجهزة الأندرويد
https://bit.ly/٣fFoxWe
【 البريد الإلكتروني 】
info@baynoona.net
【 الموقع الرسمي 】
http://www.baynoona.net/ar/

حقوق الطبع محفوظة

شبكة بينونة للعلوم الشرعية